

والفكرية راسخة الاركان الى حد يجعل بإمكان الجميع من اليسار حتى اليمين ان يتسلوا بمحاولة القضاء عليها. وحجتهم ان قوة التراث عظيمة بحيث يصعب حتى على من هم بعيدون عنه جدا ان يكسروا القوانين . وهذا يفسر عناية الفئات اليسارية فكريا في انكلترا عناية فائقة بتوسيع آفاق الثقافة والتربية وباعطائها قالباً ديمقراطياً . وهو يفسر ايضا سعي الكتّاب اليساريين في انكلترا وتفتيشهم عن الفضائل الخبيثة « لثقافة الطبقات العاملة » - وهو سعي اقلعنا عنه في الولايات المتحدة في آخر الثلاثينات . فبعض النقاد مثل وتشرد هوجرت (الذي احترم كثيرا من كتاباته) يصلون حدا يجعلهم في النهاية يؤهلون طريقة حياة لدى الطبقات العاملة تتأتى عن التأخر والحرمان . كما ان الفئات اليسارية ، التي بطبيعتها تصب اهتمامها على فكرة الجماهير ، تجد نفسها منساقفة مع تأليه الجماهير ، الذي تبين انه ليس خيرا كل الخير على الثقافة ، لكنه خير على التجارة . والسخرية في هذا الوضع ان الالتزام بالتراث الحديث يقرن بالمحافظين ، بينما تنبعت معارضته في العادة عن الفئات المتحررة واليسارية . وقد قادت المذاهب المتحررة واليسارية الطريق ، كما قلت سابقا ، الى الاتجاهات الاكثر وعيا اجتماعيا والاكثر شعبية والاكثر مساواة في الفن والفكر . فعندما يقوم ناقد مثل كنت تاينان مثلاً بمهاجمة كتاب كاجين يونسكو وجان جينيه لما فيها من قفاهة وحذلقه وبامتداح كتاب آخرين كأثر ميلر او المسرحيين الانكليز الشباب الذين يأخذون جانب الشعب ، يكون منسجبا مع نفسه . ومن ناحية اخرى لا شك بان بعض الافكار « الاقلية » والمفرقة في التجديد قد ارتبطت بوجهات نظر اكثر محافظة وبكتّاب مثل اورتيغا ي غاسية وت . س . اليوت - وان يكن يجب التمييز بين المذاهب والفن ذاته ، بين مقالات اليوت مثلاً عن الثقافة وبين شعره ، وبصورة خاصة شعره المبكر . انا بصراحة لا اعرف الى اي مدى هذه الصلات بين وجهات النظر السياسية والثقافية هي طبيعية وضرورية ؛ لكن ربما كان المزيج المثالي هو الدمج بين سياسة ديمقراطية وثقافة لا ديمقراطية ، وهو اشبه بما يمكن ان نحصل عليه اذا جمعنا مثلاً بين الدكتور ف . ر . ليفز والسير تشارلز سنو .

لقد جرى التعبير بصورة دراماتيكية عن المحافظة على الروح التي اعطتنا الفن الحديث والفكر الحديث ، بفكرة الخيانة . فجاء اولاً كتاب جوليان بندا « خيانة المثقفين » ، وفيه تقوم الخيانة على الانهياك بالسياسة . وصارت الخيانة تقوم فيما بعد على تجنب السياسة . وفي الآونة الاخيرة تغير الوضع تغيراً جذرياً ، واصبحت الخيانة مسألة كون المرء غير صادق مع نفسه ومع حرفته ومع « طبقته » الفكرية . لكن اذا استمر سياتن تقنين الثقافة وقتاً طويلاً ، فقد تحتفي المسألة كلية . او ربما اصبح ما هو جديد ، وما هو صغير ، وما هو غير معترف به ، ربما اصبح يعدّ خيانة - لكنه بالطبع سيعدّ كذلك لفترة وجيزة فقط ، لانه اخذ يصيب من الاصعب فالاصعب تجنب الوصول الى الكبر والشهرة - وبسرعة .

وليم فلبس

المجلة الادبيّة ، أهي في طريقها الى الزوال ؟

اظن ان بوسع المرء ان يجيب على هذا السؤال بسؤال آخر : الادب ، هل هو في طريقه الى الزوال ؟ ذلك انه لا معنى لفصل الناقلة عن البضاعة التي تنقلها . ولا شك ان الجواب على كلا السؤالين هو ، في الوقت الحاضر ، النفي الواضح . فطالما بقي اي عدد من القراء ، المهتمين بالفنون والنقد اكثر من اهتمامهم بأي شيء آخر ، فسيظل الكتّاب يكتبون وتستمر المجلات بالنشر .

غير اني اطرح السؤال عن « الزوال » كمسألة نسبية . فالقصد منه ان ننظر الى الاهمية النسبية للاهتبات الادبي من بين كل الاهتمامات الاخرى ضمن الكيان الشامل المعقد للحضارة المعاصرة - والقصد منه ان نفكر ببعض التخمينات عن الحاضر والمستقبل . فان استمررتنا بلهجة السؤال ووضعنا السؤال بمصطلحات النشر قلنا : هل المجلة الادبية الخالصة هي الآن في طريق الانحدار الى مستوى مجلة الهواية ، بحيث ترادف تقريراً في الوزن الحضاري « مجلة الاسلحة القديمة » او « المجلة الشهرية للقوارب واليخوت » ؟ او هل هناك امل في

ان تستعيد مكانتها الرئيسية نفسها التي احتلتها مجلات « ذي ديال » و « كرايتيريون » و « هورايزون » حيناً من الدهر في الحياة الثقافية الحديثة ؟

عالم ستيفن سبندر هذين السؤالين في مقال افتتاحي نشر في العدد الثموني من مجلة « انكوانتر » ، وكانت استنتاجاته ذات أهمية لهذه المناقشة الراهنة . وقد استخدم في بحثه ذاك كلمة « أخبار » كـ « كـمـحـك » . يقول : « حتى تكون المجلة اخباراً ، يجب ان يتجه اليها القراء ليجدوا فيها كتابات قيد العمل ، تبث النشاط ، وتجري التجارب ، وتترك اثراً يحتذى ، وتقلق القارئ وتشوشه ، وتبث فيه الهياج والاختيار . ويستطرد ويقول ان الشباب كانوا يقرأون مجلات مثل « ترانزيشن » و « ذي ترانس اتلانتيك ريفيو » و « ذي إيغويست » لإعلام الأمل الكبير بأنها ستغير حياتهم . وهو يلاحظ ان تجارب جويس او باوند او لورنس او بيكاسو او شونبيرغ كانت في ذلك الحين « اخباراً » فائقة الأهمية بحيث انها طمست كل شيء آخر على الاقوال الفكرية . إلا ان هذا ، في عقدنا الحالي ، عقد الستينات ، لم يعد صحيحاً . فهو قد يقول ان المرء لا يقرأ لورنس أو صوئيل بيكيت او روبرت لويل بنفس الإحساس بالحدث او الإحساس بالقدرة على التغيير . بل ربما امكن القول ان القارئ يأمل فعلاً ان مسرحية مثل « صلة الوصل » او قصيدة مثل « زعيق » لن تغير حياته - هذا اذا كان واعياً هذه الأيام لتلك الفكرة على الإطلاق .

ويعني سبندر في مقاله فيقول ان التغييرات الرئيسية في الفكر لا تتخذ الآن ، كما كانت تفعل فيما مضى ، بشكلًا أدبياً ، بل تحدث في حقول العلم والسياسة والمجتمع . فأنما هي هذه المجالات التي نلقى فيها الأفكار التي تغيّر أفكارنا او حياتنا . يقول : « اننا نعيش في ثورة علمية واحدة على الأقل ، وعدة ثورات اجتماعية : وثورات في البناء الطبقي ، وفي التعليم ، وفي مستويات المعيشة في بلدنا ؛ ثورات في العلاقة بين الشعوب المختلفة ونحننا ولونا - وهي ثورات ستؤثر في النهاية على علاقتنا ببعضنا البعض وعلى نظرتنا لحضارتنا الخاصة » . وهناك دليل آخر ، هو ان أكثر المجلات البريطانية ذات المستوى الراقى قد اتبعت نفس المسار . لقد تطور الزمن منذ صدور مجلة « الكتاب الأصفر » الشهيرة في نهاية القرن ، باجزائها الثلاثة عشر كلها ، دون ان تشير إشارة واحدة لاي من سولزيري او بلفور او جوزيف تشمبرلين . اما في خليفاتها الحالية (اذا استثنينا « ذي لندن مغزّن » ومجلة او مجلتين سواها) فمن الأسهل جداً ان نجد مقالات عن سياسة حزب العمال ، او عن آثار التلفزيون ، او عن مشكلة انحراف الصغار ، من ان نقرأ قصة قصيرة او قصيدة .

ولكن سيكون من الأصعب بكثير ان نجد نموذجاً ثابتاً ما في المجلات الأمريكية . وباستثناء عدد ضئيل من المجلات ، فان التاريخ الحقيقي للمجلة الأدبية في الولايات المتحدة بدأ حوالي سنة ١٩١٠ . ومن بين أول وأشهر الأمثلة ، مجلة « ذي ماسز » ، التي عاشت منذ ١٩١١ حتى ١٩١٧ . وكانت اهتماماتها موزعة بين السياسة الراديكالية والكتابات الجديدة ، وكان من بين كتابها وولتر لمان و راندولف بورن و جون ريد ، الذين ظهروا فيها الى جانب شعرائها وقصاصيها . ويجد المرء ، خلال التاريخ القصير للمجلة الأمريكية الصغيرة « ، سلسلة من العناوين مثل « الحرر » و « الجماهير الجديدة » و « جبهة اليسار » . هذه المجلات بكثير غيرها مما ظهر في العشرينات والثلاثينات كانت لديها اهتمامات اجتماعية من نفس النوع العام الذي يذكره سبندر - رغم ان المواضيع ذاتها كانت مختلفة . فكانت الماركسية ، والتحليل النفسي ، والحريات المدنية ، والرقابة ، من جملة المواضيع ، وكان يبدو ان التغيير الحيوي في الأفكار يسير في تلك المجالات ذاتها . غير ان هذه المجلات كانت متباعدة في النوعية لدرجة ملحوظة - فكانت نزاعة للجدل ، او متعصبة لأرائها ، او شديدة النزوات . وقد وقف حجر عثرة في طريق هذه المجلات جميعاً ، انعدام التقليد الثابت المستثمر للنقد الاجتماعي والحضاري في أمريكا .

منذ خلال الاعوام العشرين الماضية تغيرت الأشياء تغيراً كبيراً . ومجلة « ذي بارترينان ريفيو » ، وهي الخليفة الحالية لهذا التيار من المجلات ، توضح هذه النقطة اكمل توضيح . فكانت قد انشئت لتتحدث باسم نوادي جون ريد في نيويورك عام ١٩٣٤ ، ثم اتخذت بعد ذلك موقفاً تروتسكياً . وكانت خلال أيامها الأولى تحصر اهتمامها بالسياسة اليسارية ، الا انها مع مرور الزمن وسعت افق اهتمامها حتى غدت الآن من افضل ما ظهر

من نوعها في امريكا على الاطلاق . انني اعتقد اننا قد نضجنا الى درجة كبيرة في قدرتنا على تطبيق بعض مقاييسنا الفكرية الواسعة على مجتمعنا وحضارتنا ككل ، خلال العقود الثلاثة او الاربعة الماضية ، واظن ان « ذي بارتيزان ريفيو » قد اسهمت اسهاما كبيرا في هذا الاتجاه . فهي ، من ناحية ، عرّفت القارئ الامريكي على شيء من النقد الحضاري الاوربي في مقالات كمقالة كامو « اسطورة سيزيف » ومقالة سارتر « الكتاب والمسؤولية » ، وهي ، من ناحية اخرى ، قد نشرت الى جانب ذلك مساهمات امريكية ، منها مقالة اليوت « ملاحظات نحو تعريف للحضارة » ومقالة ليونيل ترلنغ « الفن والترطقة » . وباختصار ، فان « ذي بارتيزان ريفيو » قد التقت بطريقة ما مع تعريف ستيفن سبندر للشكل الصحيح للمجلة الفكرية الحديثة ، خلال السنوات القليلة الماضية .

الا ان ما تجدر ملاحظته هو ان هذه المجلة لم تفتح صدرها ابدا للجزء الثاني من اقتراح سبندر القائل بان الادب والفنون - لانها لم تعد « اخبارا » بالمعنى الذي كانته في الماضي - يجب ان تقبل دورا ثانويا صغيرا في مخطط المجلة الفكرية . فقد اصرت دائما على عكس ذلك ، وكانت المقالات النقدية والابداعية التي نشرتها جزءا من قوة المجلة . وعند هذه النقطة بالذات آتي لما اعتقد انه خطأ حقيقي في مقال سبندر .

يبدو ان من بين افكاره الضمنية ان المجلات هي على التحديد مجرد منافذ او اجهزة للتعبير عما تجري كتابته - وان عليها ان تكيف نفسها وتنشر كل ما هو « اخبار » في الفكر المعاصر . وهذا يبدو لي افراطا في اتباع الزيّ الجاري من الامور ، بل نوعا من الخيانة ايضا . فمن بين الفروق الشاسعة بين المجلة التجارية والمجلة الفكرية ان الاولى تسعى دائما الى ان تقدم للقارئ ما هو مطلوب في لحظة الطبع ، بينما تحاول الثانية ان تقدم ما هو ، في نهاية المطاف ، جدير بالتقديم ، دون ادنى اعتبار للزوات الآنية . وعلى هذا ، ومن وجهة نظري على الاقل ، فان المجلة التي تستهوي الذكاء والعقل هي ايضا المجلة ذات الشخصية المتميزة ، وهذه الشخصية غالبا ما تصر على ما ينبغي ان يقرأ وما ينبغي ان يشغل اذهاننا ، وليس على مجرد ما يحدث ان يكون ذلك . وانا اعتقد ان هذه الشخصية تلعب دورا خاصا فيما يقرأ مع مرور الزمن . وعندما ينحسر الدور الادبي لمجلة كبرى ، لمجرد انه لم يعد لديها جويس او بيتس لتنشر لها ، فانها تسهم بالتدهور العام للادب ، وتجعل من الصعب احلال موجة جديدة او اهتمام جديد .

ان ستيفن سبندر شاعر مرموق ، ورجل ادب نافذ البصيرة ، وانا لا اريد اتهامه باي كره للادب الخلاق . انما اعتقد انه ، في تصريحه ذاك ، قد تخلى عن بعض المسؤوليات الكبرى بشيء من عدم التفكير . والمسؤوليات التي اقصدها تتعلق بالتحرير - ومن هنا ينبع دوره كحكم ، حتى ولو كان حكما غير محبوب . ان ما يقوله هو ، بمعنى من المعاني ، اننا نعيش في عصر صحافة ، فلم لا تحاول مجلته ان تنشر افضل ما يمكن من المادة الصحفية ؟ (ينبغي ان اقول هنا انني استخدم هذه الكلمة بالمعنى الحسن ، ليتضمن التعليق الذكي على كل المواضيع التي تتناول الحقائق . ويعطيني سبندر هذه الفرصة باستخدامه لكلمة « اخبار » بنفس الطريقة) . واختلافي معه في الرأي ينشأ عن تحيز قديم له اعتبره - ذلك هو المفهوم القائل ان اية مجلة فكرية تستحق هذا الاسم يجب ان تسير بالاتجاه المعاكس لتيار عصرها . يجب ان تؤكد وترفع شأن هذه الاشياء القيمة التي يبدو ان العصر يتجاهلها ، حتى ولو كان الطلب على هذه الاشياء قليلا نادرا . ان عليها ، في عصر متراخ متهاون راضٍ عن نفسه ، ان تمارس نقدا حضاريا شديدا . وعليها ، في عصر يميل ميلا شديدا للمقالات والريورتايجات الصحفية الممتازة وللتفحص النقدي ، ان تعمل كل ما بوسعها لتحافظ على الخيال والحس والتأمل الفلسفي وان تعمل على تشجيعهما .

حين يقول سبندر ان علينا ، لان الاحداث تحيط بنا ، ان نصبح صحفيين ، فانه انما يسيء الحكم على مجلته هو وعلى ميزاته ك محرر . ان لدي شعورا قويا - وهذا ما يمتقده الكثيرون ممن تحدثت معهم - ان « انكاونتر » مدينة بالكثير من اسباب نجاحها الى كونها قد نشرت فعلا شيئا لاحسن الكتاب المبدعين والنقاد في زماننا . فالفرق الاساسي بين « انكاونتر » وبين مجلة مثل « نيو ستيتسمان » او « ذي روبرتر » هو ان « انكاونتر » تنشر اعمال ولیم غولدنگ ، و روبرت لويل ، وفلايمير نابوكوف ، وانفس ولسون

و نادين غوردوير ، و هرانك كيرمود ، و اشعيا برلين ، و ادموند ولسون ، و سيريل كوفولي ، و ايريس مردوك فضلا عن كثيرين غيرهم . ان اعمال هؤلاء الناس ذات وزن و اهمية لا من الداخل فحسب ، بل لانها جزء لا يتجزأ من حضارة العالم الناطق بالانكليزية . و اذا ما كنا ، كقراء ، جزءا من هذه الحضارة ، فان هذه الكتابات تخصنا .

غير ان هناك جانبا من صفحات « انكوانتر » ، من الناحية الاخرى ، لا يخصني بنفس الطريقة ابدا . في حين انني ، في اغلب الظن ، مليء بالمعلومات الحقيقية ، حسن الاسلوب ، ذكي التحليل ، الا انه قد يكون في نفس الوقت ناشزا باعتمق معاني الكلمة . لقد تعلمنا انه ، كما نكون مواطنين اذكياء في هذا العالم ، علينا ان نعرف امورا كالتى تنشرها المجلة ؛ ولكن في حين ان هذه الامور قد تمس حياتنا مسا مباشرا احيانا قليلة و غير مباشر في احيان كثيرة ، فانها لا تمس كيانتنا الداخلي . انها جزء مما قد يدعى بوجودنا الصحفي ، ولكنها لا تستثير اعتمق مشاعرنا . وعندما يتكلم سبندر عن الشباب الذين تطلعون احيانا من الدهر نحو المجلات بحثا عن شيء « يغير حياتهم » ، فلعنه كان يفكر في ذلك البيت من قصيدة ويلكه : « يجب ان تغير حياتك » . ولكن المتكلم بهذا البيت في القصيدة ليس مقالة عن اعادة توحيد المانيا او عن الاقتصاد السوفييتي ، بل هو تمثال حقيقي لابلو - عمل فني ، عمل من ابداع الخيال . ولن يكون هناك بديل عن ذلك .

قد قلت ان هذا العصر عصر صحافة ، و اقصد بهذا ليس مجرد التقارير الاخبارية بل كل نظر و حكم و تحليل في وقائع هذا العالم . و يجب ان اضيف هنا الكتابة في حقول السياسة والاجتماع والاقتصاد والانثروبولوجيا والطب . هناك قدر كبير من الكتابات حول هذه المواضيع مما هو تكتيكي صرف تنحصر اهميته في ذاته - وهذا لا يهمني هنا . وهناك قدر اكبر مما يقصد فيه التفسير والتطبيق على النواحي الاجتماعية الاوسع مدى ، ولكن يتضح في النهاية انه يكاد لا يثيرنا مطلقا . الا ان وجود ذلك القدر الكبير من تلك الكتابات - اكبر مما كتب في اية فترة اخرى في التاريخ - ادى الى وجود جزء وافر منها يتصف بالدقة والصحة والامتلاء بالنظرات النافذة . ونشر افضل ما في هذا يعني الاسهام في بناء مجتمع واع ، مجتمع اكثر نجاحا ، وربما مجتمع اخلاقي حقا . انني لا اشك باهمية ذلك الهدف . فالواقع انه يمثل اتفاقا شاملا للضمير في عصرنا . ولكني لا املك الا ان اشعر بان هذا الاتفاق قد اقصى شيئا آخر كنا نعتبره جزءا رئيسيا في الطموح الانساني . ويطير اليه بهذه الطريقة : سمعت مرة في اجتماع لاحدى الهيئات استاذنا من جامعة شيكاغو يقول ان هدفنا الرئيسي في التربية يجب ان يكون تعليم الطلاب كيف يصبحون مفيدين و اعضاء منسجمين و متكيفين مع المجتمع . وخطر لي الخاطر التالي : كم سيشعر ذلك الرجل بالغم والتعاسة لو ان احد طلابه اصبح فيما بعد دستوفسكي ، او فاغنر ، او فان غوخ جديدا . لم ينتم احد من هؤلاء الى مجتمع كانوا يستثيرون المجتمع - ولكنهم جميعا كانوا ينتمون الى مدينة و حضارة .

لذا انا واثق اني لا اجيء بشيء جديد مدهش حين اقول ان بعض الامثلة الرائعة على المدنية والحضارة قد فقدت و تمث وسط مجتمعات سيئة او حمقاء جدا ، او ان بعض المجتمعات الطيبة والحسنة التنظيم لم تنتج من الواضع ما خلد اكثر من شواهد قبورها . ولكن ما لا يطاق بالنسبة للانسان المتمتع بضمير اجتماعي جيد ، و يفكر بعدم وجود رابط سبيبي بين الحقائق الواقعة لحكومة حسنة والتعليم العام والسلوك المنظم وبين تعزيزات الرائعة التي ندعوها فنا او علما خالصا او فلسفة . الا ان تلك الروابط زهيدة ، والموجود منها مرضي . فالمجتمع الجيد اخلاقي ، ولكن المدنية ليست اخلاقية او لا اخلاقية ؛ انها عبقرية الانسان الخاصة . و يوصف كل مظاهر الارتباك والاضطراب في دنيا الحقيقة في هذا العالم ، يوجد هذا اللغز الخاص المسمى المدنية . وهي تظل حية لانها تساعدنا على تنظيم حياتنا بشكل عملي افضل ، بل لان عددا معينا منا يشعر بحياتنا ستكون اكثر جفافا و قحلا بدونها . و باننا سنحاط في الوقت نفسه بما هو قبيح و مفيد من ناحية ، و هو قبيح و لا نفع فيه من الناحية الاخرى . لقد مرت فترات طويلة كان فيها الناس عاجزين عن الافعال الخلاقية التي تضيف شيئا للمدينة . فلم يكن هناك ، على سبيل المثال ، سوى القليل من اهل روما القادرون على الاهتمام فيها بشيء ، و كان اهتمام العالم الروماني منصبا بالدرجة الاولى على ايجاد مجتمع طيب منظم . ومع

ذلك فان الرومانيين دافعوا عنها ، وحافظوا عليها ، وقلدوها ، وسلموها لغيرهم .

والآن ، وبغية تطبيق بعض هذه التعميمات الجارفة على موضوعي الراهن ، اقول ان هناك بعض النشاطات الموروثة المنوطة بنا ، التي هي في نهاية المطاف سبيلنا الى الحفاظ على هذه المدنية والى ادراك معناها والى اعطائها فرصة حياة قادمة قد تكون ابهى مجدا من كل ما شهدناه . واحدى هذه الطرق هي البحث والنقد المتساين بالوعي والذكاء ؛ وطريق اخرى هي الاضافة لها - للمدنية - على قدر طاقتنا ؛ وطريق ثالثة هي توصيلها او نقلها . في هذا النشاط الاخير تجد المجلة الثقافية دورها الصغير لكن الهام . لم نكن نحن ، أهلي المنطقة الناطقة بالانكليزية من المدنية الغربية ، ذوي مواهب عظيمة ككتاتين ، او رسامين ، ولسنا غللك عبقرية عظيمة في مجال الموسيقى . لقد كان اعظم اسهام لنا في مجال العلم وفي حقل اللغة - في الفلسفة والادب . وعلى هذا فاهتمامنا الخاص يجب ان ينصب في جانب من جوانبه على فن الادب . هل تسير المجلات الادبية نحو الزوال ؟ ان كان الجواب ايجابيا ، فتلک اشارة الى ان كل ما نمارسه من فنون الادب يسير نحو الزوال . وان كان هذا صحيحا ، فهذا يعني بالتأكيد ان لغتنا كشكل من اشكال التعبير المتدين هي في طريقها الى الانحلال . ليست هذه اسئلة عابرة ، ولا اظن ان الجواب عليها يمكن ان يكون جوابا عابرا .

احب الآن ان اعود الى الخلف قليلا لاناقدش بزيد من التفصيل تلك الوظيفة التي ذكرتها قبل قليل ، اعني - بشكل عام - وظيفة حماية وتوسيع ذلك الجزء من المدنية الذي يعبر عنه بالكلمات ، وعلى التعيين وظيفه المجلة الادبية ضمن الدافع العام .

ظهرت مجلاتنا الادبية الامريكية ، كما قلت ، حوالي عام ١٩١٠ فما بعد . ومن الممكن تلخيص التاريخ العام لاحدى تلك المجلات « الصغيرة » الاولى على الشكل التالي : يحد ثلاثة او اربعة شبان امريكيين انفسهم في اوربا بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة . ويملكون وصيدا صغيرا من الدولارات تسنده ودائع ثابتة تقريبي من هارتفورد في كونكتيكت او من انديانا بوليس في انديانا . وقد قابلوا غرترود ستاين وازرا بارند وفورد مادوكس فورد . افكارهم ملأى ببعض المبادئ السياسية الغائمة . الا انهم متحمسون فوق كل شيء للشعراء ويحبون في هذا المجال ان يروا كل ما في العصر الفكتوري يزاح ليحل محله شيء مطلق الجدة . لقد ظل ازرا باوند يقول لهم : « اجعلوه جديدا » وآمنوا بحماس بما يقول . الشيء الوحيد الممكن هو ان ينشثوا مجلة وهكذا مضوا في انشائها . وركبوا موجة الحماس الادبي الجديد وساهموا فيها . ولربما كان نصف ما طبعوا سيئا جدا : مهووسا وسخيفا و « تجريبييا » دونما هدف . وكان ربه يبعث على الاحترام لكنه بلا موهبة ولكننا قد نجد بين ذلك كله قصة لهمنغوي او قصيدة هاروت كرين ، مما يجعل كل ذلك الجهد والصخب ذا قيم وجدارة ، حين نسترجعه في فكرنا الآن . وفي هذا المجال كانوا يمارسون وظيفة من الوظائف الحيوية حق للمجلة الادبية : الا وهي تجديد فن الادب لجيلها المعاصر .

ان هذا الذي وصفته هو ، بالنسبة لمعظم الامريكيين الذين يفكرون بالامر ، وعلى الاخص بالنسبة لاولئك الذين ترعرعوا خلال تلك الحقبة ، المجلة الادبية حقا ، والضرب الوحيد من المجلات الذي يستحق الاسم . واذا شئنا التعبير عن ذلك على شكل تعريف ، قلنا انهم يعتقدون ان الواجب على المجلة الادبية ان تكون مجلة هواة في عملها ، وان تكون نتاج مجموعة من المتحمسين ، واهم من ذلك كله ، ان تكون تعبيرا عن حركة طلابية . بل انه من الافضل الا يزيد عدد المبيعات منها عن ٥٠٠ نسخة . فاذا ما توزيعها عن ذلك تبادرت الى الذهن الشكوك بانها سقطت الى درك التجارة .

ان المجلات « الصغيرة » من هذا النوع ما تفتأ تنشأ وتذوي ، وان يكن ربما دون ذلك الاحساس بالهيجان او ذلك الشعور بوجود رسالة جديدة ، مما كانت تنقسم به خلال العشرينات ؛ ومع ذلك فهناك حقا ثنائين او تسعين مجلة كهذه في امريكا في الوقت الحاضر - مثل « الستينات » و « التمرد » و « الغريب » و « ديسمبر » . بل ان اسماء هذه المجلات هي نفسها ذات مسحة فيها تذكاري وحزين للماضي - رغم تفقد تلك الصرعة الدادائية التي اتصفت بها سابقتها ، من امثال « بقرة غرينتش فلدج الجديدة » و « البطالة المغضبة » و « عين النمر » و « على مهلك يا أخ » و « الحصان الضاحك » . ان بعض هذه المجلات لا

لها ، رغم انه ليس بينها من هي جديدة تماما ؛ والواقع ان غالبيتها عفيفة ورجعية جدا بمعنى من المعاني ؛ ونحن يقرأ المرء ما فيها من شعر حر ومن قصائد صورية وشبيهة بالقصائد اليابانية ، وما فيها من قصص تستخدم تيار الوعي ، فان من المحتمل ان تعود به الذاكرة الى الماضي لا ان تنتقل به الى المستقبل .

في الى جانب هذه المجلات اخذ نمط جديد من المجلات يتطور في الولايات المتحدة خلال العقود الثلاثة الماضية . ولربما كان الاصح ان نقول انه نمط قديم في اوربا وانكلترا ، لكنه جديد في امريكا - الا وهو «المجلة الادبية» . لقد كان عندنا فعلا عدد قليل منها ، نذكر منها «ذي اتلانتيك مثلي» في القرن التاسع عشر ، الا انها تغيرت منذ زمن طويل . اما الحصة الجديدة في الثلاثينات والاربعينات فقد حوت كلا من «ذي صطرن ريفيو» و «ذي كنيون ريفيو» و «ذي هضض ريفيو» ، كما حوت «ذي بارتيزان ريفيو» و «ذي سيواني ريفيو» بشكلهما الجديد . كانت هذه المجلات اكثر جدية واتزان من المجلات «الصفيرة» ، التي انحدرت من خط «ذي دبال» و «هاوند اند هورن» لا من خط «بلاست» و «سفن آر تس» . لقد كان مستقرهما الروحي (وان لم يكن الواقعي في جميع الحالات) هو الجامعة ، وليس غرفة مزدحمة في غرينتش فلدج البوهيمي في نيويورك او منضدة في مقهى ما في الحي اللاتيني في باريس . وكانت وما زال افضل اخراجا وتمويلا وتحريرا واطول حياة من المجلات «الصفيرة» السريعة الزوال . الا ان الفرق الكبير ، الفرق النوعي ، بين هذين الضربين من المجلات هو ان «المجلات الادبية» قد شددت على النقد الأدبي . فهي تنتمي الى فترة من التقييم الأدبي اكثر مما تنتمي الى فترة من الخلق والابداع الباذخ .

ان هذا النوع من المجلات ، بالنسبة لمن تشكل مفهومه عن المجلات الادبية خلال العشرينات ، غريب للآمال . وقد عبر وليم باريت ، الذي كان لزمان ما رئيسا لتحرير «ذي بارتيزان ريفيو» ، بشكل واضح عن هذا الرأي حين دعا المجلات الحالية «رصينة رزينة» و «اكاديمية» و «فاقة للحياة والنشاط» . انتمصت به المجلات في ايام الثورة الادبية .

في هذا الزعم قدر من الحقيقة لا ينكره احد ، وقدر آخر من خداع النفس والالتفات بحنين الى الماضي . فليس ان حمى وحاس «اجعلوه جديدا» بالمعنى الذي ساد في العشرينات مفقود الآن . لكن ثمة ، من جهة اخرى ، شيئا خاصا في المجلات الحديثة لن يفهمه ويستوعبه المراقب السطحي . فعلى الرغم من انها تمثل كتابة وتفكير الجامعات اكثر من سابقتها ، الا ان هذه الكتابة وهذا التفكير غالبا ما يتصفان بالاكاديمية ، او انها معادبان احيانا كثيرة للروح الاكاديمية بالمعنى العميق . فالحقيقة ان المصالح الثابتة للعالم الأدبي غالبا ما تعتبر المجلات الادبية «غريبة» للحد الذي اعتبرت دائرة البريد الامريكية مجلة مارغريت هورسون «ذي ليتل ريفيو» غريبة ، فاحرقت ثلاثة اعداد منها لانها كانت تحتوي على مقاطع من «بولسيز» . ان انت امتدحت افكار كتاب كهارولد روزنبرغ او لسلي فيدلر او بول غودمان من بين كتاب هذه المجلات امام الاساتذة والباحثين في الجامعات الامريكية ، فانك ستدرك ما اعني .

ان ما اريد تبينه هنا هو ان هذه المجلات تختلف نوعيا اختلافا كبيرا عن المجلات «الصفيرة» التي كانت في الماضي . ان لها تفكيرها مختلفا تماما ، والثورة التي تسهم بها ثورة هادئة واسعة المدى ، وليست ثورة على المكشوف » كما كانت ثورة الايام السابقة التي اتصفت بملو صوت المعارضة وبالطلائعية المحطمة لنظام التقاليد .

كانت ثورتنا الادبية خلال العشرينات ، ورغم كونها خلاقة ، ثورة جاهلة الى حد كبير . لا اقصد انه على هؤلاء والكتاب المسرحيين ان يكونوا نقادا ايضا ، بل اقصد ان ابي مسار جديد في الادب يزداد قيمة كلما كبيرا اذا رافقه شيء من الذكاء ومن الفهم للمقاييس ومن المعرفة للاهداف الاخيرة . لقد وجد كتابنا كثيرا من العراقل امامهم لاننا لم نكون نملك اطلاعا حقيقيا على ماضي الفكر ، ولم تكن لدينا نظرة نقدية بخصوص ما لا يستحق ان يفعل ، وكان فهمنا لما نريد ان تكون عليه ما ثرنا ، فيها غائما ضئيلا . بالتصاير ، كان كتابنا في وضع يحاولون من خلاله الاسهام اسهاما حيوا في تغيير حضارة لم يكونوا يعرفون شيئا عن النزول اليسير . اننا في عهود الفن الميتة نرت اخطاونا ؛ اما في العهود الحية ، فاننا نخلعها .

كانت المجلة الفصلية الادبية اذاً محاولة لتحقيق ما طالب به الناقد ادموند ولسون («ان ما نفتقده في امريكا ليس هو الكتاب، اوحى الاحزاب الادبية، وانما هو ببساطة النقد الادبي الجاد»). وانا امثل احدي هذه المجلات الفصلية الادبية، ولكنني اريد ان اقول ما كان ليقوله كل ناقد عاقل في هذا الموقف: ان النقد لا يقوم بذاته مطلقا، بل هو يوجد فقط كخادم وكمستشار للخلق. ان يوسع ان يخلق جوا يستطيع فيه الشاعر ان يعرف معرفة افضل ما هو الشعر الجيد، كما يمكن للنقد ان يبيء للشاعر قراء يعرفون ذلك ايضا، ولكنه لا يستطيع مطلقا ان يكتب قصيدة، حتى ولو كانت رديئة. كما انه لا يستطيع ان يحطم قصيدة جيدة، حتى ولو حاول.

اما وقد قلت هذا فيمكنني ان امضي الى القول ان جيل النقاد المحدثين بلغ، على طريقته الخاصة، من الروعة ما بلغه اي جيل من الشعراء او الخلاقين باللغة الانكليزية. ولم يارس النقد من قبل ابدا بما يارس به اليوم من حدة في الادراك او تنوع في وسائل المعالجة. وليس هذا هو المكان الذي يمكننا فيه وصف المنجزات الرائعة لاولئك الرجال، وكل ما استطاع عمله - على سبيل التذكير - هو ان اذكر اساءة مثل ادموند ولسون، ت. س. اليوت، ر. ب. بلاك مور، ليونيل ترلنغ، ف. ر. ليفز، سيريل كونولي، جون كرو وانشوم، ان تيت، ايفور ونترز، كلينث بروكس - ويمكن ان يضاف لهذه القائمة الى ان تملا صفحة او يزيد. وقد جرت العادة في امريكا على اعتبار من يدعون «بالنقاد الجدد» كممثلين لهذه الفترة الا ان الحقيقة هي ان طريقتهم ما هي الا واحدة من بين طرق التحليل الكثيرة التي يتم استخدامها. لقد شعر ولسون ان على النقد ان يثير «اهتمام الفكر المتيقظ بمضامين ما يقوم به الفنان، اي بمسؤوليته». وقد اتجهت هذه الثورة في النقد، الى حد كبير، نحو هذا الهدف. فهي لم تضع مستويات عالية يحكم بموجبها على الكتابة المعاصرة، فحسب، بل كانت مأثرتها العظمى تطويرها نوعا جديدا من النضج في الفكر الامريكي عن طريق النظر نظرة جديدة الى الماضي الخلاق. ففي خلال محاولة تلمس اعماق المعاني لدى عقول كمفكر ملفل او هوثورن او جيمز، اضاف النقاد اضافات عميقة لفهمنا لانفسنا كأمريكيين افراد وكجزء من حضارتنا الوطنية. بل ان هؤلاء النقاد ذهبوا الى ابعد من ذلك، الى الاعمال العظيمة في الحضارة الانكليزية والاوربية لفحصها من جديد على ضوء تفكيرنا الخاص.

هذا كله كان ثوروا بشكل عميق وبعثا على الاضطراب بالنسبة للمصالح الجامعية. فقد كانت الجامعات تنظر للادب دائما - مع بعض الاستثناءات التي تستحق الاحترام - باعتباره مزلة للباحثين. كان المفروض فيه ان يغربل ويصنف لعرضه في المتحف باشكال شتى - لغوية وبيوغرافية واجتماعية وما الى ذلك. وكان النقد عملية مسلية للكتاب الهواة ولم يكن ينظر اليه بجدية. لكن الجيل الجديد من النقاد اصر على النظر للادب كفن، واصر على القيام بانواع شتى من الاحكام التقييمية، الامر الذي بدا للجامعيين متساعرا وخطيرا وغير مشروع بشكل ما، فبدت هذه الحركة المصرية على اعادة التقييم كأنها حركة راديكالية من اسوأ الانواع اذ كان يمكن ان تنتهي بقلب مفاهيم الكتب المدرسية. بل انها فعلت ذلك، الى حد ما.

لست اقصد القول انه لا يوجد في بعض الجامعات الامريكية من يهتم بعدد الاشارات للطبوع في اعمال شيكسبير او يقوم باستقصاء واسع يشبه عمل الباحث الفرنسي الذي احصى بعناية عدد فناجين القهوة التي شربها بلزاك أثناء تأليفه «لمهزلة البشرية» (كان العدد ٥٠٠٠٠٠ تقريباً). الا ان الاتجاه العام للدراسات الادبية قد تغير مع الزمن واصبحت الطرق النقدية جزءا من التعليم. والواقع ان قبول ذلك قد زاد الى درجة اتساعها معها احيانا عما اذا لم يكن الاكاديميون، مثلهم مثل الصينيين، قد اصبحوا في طريقهم الى ادموند غزاتهم بأنفسهم. ان عدد الرموز او تقصي نقاط الغموض يمكن ان يكون في مضمار البحث مشابها لعد فناجين القهوة من حيث انعدام الروح الخلاقة فيه.

يبدو لي ان هناك امرا مهما واحدا اخفق النقاد المحدثون والمجلات الفصلية النقدية المعاصرة في القيام بالوظيفة الضرورية فيه: الا وهو الاهتمام باللغة واستعمالها. لقد كان ذلك شغل ١. ١. ورتشردز الشاغل ولدى كل ناقد بطبيعة الحال شيء يقوله عن استخدام الكلمات في المجال الخاص الذي يبحثه. ومع ذلك

اشعر انه لم يبذل جهد مركز للقيام باستعراض نقدي للحالة الراهنة للفتنا ، او لمقاومة ما يمتد كثير من الناس انه انحلال حقيقي في قواها. لقد ابتدع نفر من احسن نقادنا - مثل ر. ب. بلاكمور - لانفسهم اسلوبا غامضا . بينا ابدى غيرهم تساهلا مفرطا في مواضيعهم - واطن ان نقاد فوكر غالبا ما كانوا مفرطين في التساهل . ولا يستطيع ان تذكر سوى مقالات قليلة معدودة في المجلات الفصلية الادبية التي تبدي نفس الاهتمام الشديد الذي عبر عنه روبرت غريفز او جورج اورويل - منها مقالة ولارد ثورب « جدار الانكليزية يتصدع » التي ظهرت في « انكاونتر » ، ومنها مقالة جورج ستاينر « تدهور الكلمة » التي ظهرت في « ذي كنيون ريفيو » . ويبدو لي ان هذا الموضوع يجب ان يبحث بحثا مستمرا شاملا .

هناك نقائص اخرى في المجلات الفصلية الادبية الامريكية - لا ينبه احد اليها قدر ما ينبه اليها رئيس التحرير . الا انني اعتقد انها كانت على العموم ناجحة ضمن حدودها الخاصة . والانتقاد الذي يوجه اليها غالبا من الخارج هو انها مجلات نقدية خالصة تقريبا، ولا تشجع المواهب الشعرية والقصصية. وليس هذا بصحيح. فاني استعراض سريع لفهارسها يمكن ان يستخرج اسماء تمثل احسن الكتابات الامريكية خلال العقدين او الثلاثة الماضية - اسماء مثل : صول بلو، ورالف ليسون، وجين ستافورد ، ويودورا ولتي ، وهيربرت غولد، وبرنرد ملود، ورايت موريس، وروبرت لويسل ، وجيمز بولدوين ، و. د. سنودغراس ، و. ج. ف. بلورز ، وتنيسي وليمز . وقد نشرت هذه المجلات ، فضلا عن ذلك ، اعمالا لكامو ، وباسترناك ، وبريخت ، ومورافيا ، ويونسكو ، وغيرهم من الكتابات الاوربيين ، من قبل ان يصبحوا معروفين في الولايات المتحدة. وما يزال صحيحا ، مثلما كان الامر قبل عام ١٩٤٠ ، ان حوالي ٨٠ ٪ من الكتابات المبدعين والموهوبين يظهرون اولاً في المجلات « الصغيرة » والفصلية . اما الذين يشكون من انعدام الروح الجديدة او الكتابات الطلائعية فهم انما يشكون من الفترة نفسها ، لا من المجلات .

ان هذه التهمة بالذات ، ان وجهت التوجيه الصحيح ، يمكن ان تكون حافزا قويا . ومن اوضح الامثلة دلالة على ذلك مقالة رندل جاريل المسماة « عصر النقد » ، التي يقول فيها : « ليس من الغريب انه في بعض الامكنة التي يكثر فيها النقد ويتعاطف تأثيرهم يقل عدد الذين يكتبون (وعندما اقول « يكتبون » فاني قصد يكتبون القصص والقصائد والمسرحيات) ... ذلك اننا سرعان ما نرى ان عصر النقد ليس هو عصر الكتابة ، وليس عصر القراءة : انه عصر النقد . ان الناس ما يزالون يقرأون وما يزالون يكتبون - بشكل جيد ؛ ولكن عملية النقد بالنسبة للكثيرين منهم هي التي اصبحت العملية الرئيسية التي تمثل المثقف . » . وهناك شاعر آخر هاجم النقد لانه اخذ بازدياد يتحدث الينا من عل ، هو كارل شايبرو ، الذي كان هو رئيس تحرير لمجلة . ففي كتابه « دفاع عن الجهل » يرى شايبرو ان النقد الحديث - او معظمه - ذو قيمته على الشاعر . وقد ارتفعت اصوات سخط قوية غير هذين الصوتين .

ربما كانت هذه علامات تبعت الامل . ولعلها ارهاصات بروح جديدة وبموجة جديدة من الجهد الخلاقي . متباري قارئاً و كاتب قصص ومحرراً ، ارجو ان يكون الامر كذلك . لكنني في الوقت نفسه ارجو الا يندرس النقد الجيد ، والا تكون الثورة التالية في الادب الامريكي ثورة جاهلة . وان كان لنا ان نؤمن هذه الفترة النقدية الناشطة ، فان هذه الفائدة يجب ان تنعكس ، حسبما يقول ولسون ، على « اهتمامنا المتبسط بمضامين ما يقوم به الفنان ، اي بمسؤوليته » . وان حصل هذا ، تكون المجلات الفصلية قد ساهمت لا تقدر بثمن . يقول ليونيل ترلنغ في مقالة اسمها « وظيفة المجلة الصغيرة » ان هذه المجلات حاولت ان تبقي الطريق مفتوحة. لقد حافظت على حضارتنا من ان تصبح حذرة ، او مستقرة ، او ان تكون محض اجتماعية او محض تقيية... انها تجعل الممثلين الرسميين للادب يشعرون بشيء من القلق... تبقى تيارا مضادا يتحرك ، تيارا قد لا يدركه احد ادراكا تاما الا بعد ان يتوقف عن الحركة » .

وكذا فان ما يقوله ستيفن سبندر عن المجلات هو ، بالنسبة لي ولهذه الدراسة ، خارج الموضوع . فنحن نريد ، نوع « انكاونتر » الذي يصفه ، ولكننا من الناحية الاخرى نحتاج ، ونريد ، نوع المجلة الجديدة ، ان كنا نريد تراثنا الادبي الطويل ان يدوم . انها حقيقة مثبتة للزعيم الا يكون لدينا بيتس